المكان المغلق والمفتوح في رواية قربان آل يونس لأحمد خيري

محمد نبي الاحمدي
أستاذ مشارك بجامعة الرازي بكرمانشاه في إيران,
mn.ahmadi217@yahoo.com
بارق حامد
طالب مرحلة الماجستير في قسم اللغة العربية بجامعة الرَّازي بكرمانشاه في إيران
bargalzidy@gmail.com

The Closed and Open Space in the Novel *Qurban Aal Younis* by Ahmed Khairy

Mohammed Nabi al-Ahmadi
Associate Professor at Al-Razi University, Kermanshah – Iran
Barq Hamed
MA student in the Department of Arabic Language, Al-Razi University, Kermanshah – Iran

المستخلص

لا يُبنَى العملُ الأدبيُّ إلا على دعاماتٍ أساسيةٍ تُضفي عليه الروحَ والعمقَ، وتجعلُه مرآةً تعكسُ عوالمَ الإنسانِ الداخليةَ والخارجيةَ. ومن بين هذه الدعاماتِ يبرزُ المكانُ كعُنصرٍ حيويّ لا يُمكنُ تصوُّرُ أيّ عملٍ أدبيٍّ مكتملٍ دونَه، هو شريكٌ فاعلٌ في صياغةِ الحكايةِ، وتشكيلِ هويةِ الشخصياتِ، وحتّى في بثِّ الرُّوحِ في الأفكارِ والرموزِ. فالمكانُ في الأدبِ يشبهُ الوعاءَ الذي يحتضنُ كلَّ مكوناتِ النصِّ، ويُؤثِّرُ في سيرورتها، كالزمنِ والصراعِ واللغةِ، ليُقدِّمَ للقارئِ عالَماً متماسكاً يَسهُلُ عليه الغوصُ فيه، وتأمُّلُ تفاصيلِه.

لذا، لا يقتصرُ دورُ المكانِ في رواية "قربان آل يونس"على كَونِه إطاراً جمالياً فحسب، بل يتعدَّاهُ ليُصبحَ لساناً يعبّرُ عن الهُويةِ، والذاكرةِ، والثقافةِ، أو حتّى أداةً لنقدِ الواقعِ واختزالِ تعقيداتِه. وهنا يظهرُ براعةُ الكاتبِ في تحويلِ الفضاءِ الجغرافيّ إلى فضاءٍ دلاليّ يَحملُ طبقاتٍ من المعنى، تُثري تجربةَ القارئِ، وتجعلهُ شَاهداً على حوارٍ خفيّ بين الإنسانِ والبيئةِ. فإذا كان الأدبُ هو ابنَ الواقعِ والخيالِ معاً، فإنَّ المكانَ هو الجسرُ الذي يربطُ بينهما، ويُؤكِّدُ أنَّ الإبداعَ لا ينفصلُ عن الأرضِ التي تُنبتُه، ولا عن الفضاءِ الذي يُنْشِئُه.

هذا المقالُ يُحاولُ تسليطَ الضوءِ على الأهميةِ الجوهريةِ للمكانِ في البنيةِ الأدبيةِ، وكيفيةِ توظيفِه لخدمةِ الرؤيةِ الفنيةِ للمكون السردي.

تُسلط رواية قربان آل يونس الضوء على صراع الهوية والانتماء من خلال شخصية "صهيب"، المهندس الأمريكي من أصل عراقي، الذي يجد نفسه ممزقًا بين جذوره الشرقية وواقعه الغربي. حيث تقدم الرواية رؤية نقدية للتاريخ باعتباره قوة حيّة تُشكل الحاضر وتدفع نحو إعادة بناء الإنسان والمكان.

في هذه الدراسة، اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي الذي يساعد في فهم السياق الذي يظهر فيه المكان، بما في ذلك العوامل الاجتماعية والثقافية التي تؤثر على النص.

الكلمات المفتاحية: الأدب، الرواية، المكان، قربان آل يونس، أحمد خيري.

Abstract

A literary work cannot stand without fundamental pillars that infuse it with spirit and depth, making it a mirror that reflects both the internal and external worlds of human experience. Among these pillars, space (place) emerges as a vital element—an indispensable partner in shaping the narrative, constructing the identity of characters, and even breathing life into ideas and symbols. In literature, space is like a vessel that embraces all components of the text, influencing their dynamics—such as time, conflict, and language—and offering the reader a coherent world that invites deep immersion and contemplation of its details.

Thus, in the novel *Qurban Aal Younis*, space does not merely serve as an aesthetic backdrop. It transcends that role to become a voice that expresses identity, memory, and culture—or even a tool for critiquing reality and distilling its complexities. Here, the author demonstrates skill in transforming geographical space into a semantic space rich with layers of meaning that deepen the reader's experience and make them a witness to an implicit dialogue between the human and their environment. If literature is the offspring of both reality and imagination, then space is the bridge that connects the two, affirming that creativity is never detached from the land that gives rise to it, nor from the environment it constructs.

This article seeks to shed light on the essential significance of space in literary structure and how it is employed in service of the artistic vision of the narrative component.

The novel *Qurban Aal Younis* highlights the conflict of identity and belonging through the character of "Suhaib," an American engineer of Iraqi origin, who finds himself torn between his Eastern roots and his Western reality. The novel presents a critical vision of history as a living force that shapes the present and drives the reconstruction of both human and place.

In this study, we adopt a descriptive-analytical approach, which helps in understanding the context in which space appears, including the social and cultural factors that influence the text.

Keywords: literature, novel, space, *Qurban Aal Younis*, Ahmed Khairy.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

في سياق الدراسات السردية، لا يمكن النظر إلى المكان على أنه فضاء ثابتٍ أو مساحة تُجرى داخلها الأحداث، بل يبرز كعنصرٍ ديناميكيٍ يتفاعل مع الشخصيات بشكلٍ جدلي، فيؤثر فيها ويتأثر بها. فالمكان الحكائي، بكل أبعاده الرمزية والواقعية، لا يكتسب دلالته إلا من خلال تفاعل الشخصيات معه، حيث يصبح عاملاً محورياً في تشكيل تحولاتها النفسية والوجودية، وفي توجيه مسارات الأحداث التي تحدد مصائرها.

هذه العلاقة التبادلية بين المكان والشخصيات تعزز من قيمة المكان كعنصرٍ جماليٍ وفنيٍ مركزي في النص الروائي، حتى يصبح قادراً على احتضان التفاصيل المعقدة للكون السردي، ومنحه طابعاً مميزاً ينفرد به. «إن المكان يتفاعل مع الشخصيات داخل العمل الروائي، ويسعى إلى تكوينها فكرياً ونفسياً ووجدانياً، ويؤثر في انتقالها من حال إلى حال. كما أنه يسهم في خلق المعنى داخل الرواية.» (مهدي، ٢٠١١م، ص٨) عن طريق هذا التفاعل، يصبح المكان شريكاً في تشكيل هوية الشخصيات وتحولاتها، مما يجعله عاملاً أساسياً في بناء المعنى داخل الرواية. وبذلك، يتحول المكان إلى كيان حي يساهم في تعميق الأبعاد الدرامية والرمزية للنص، مما يعكس مدى ترابطه الوثيق مع الأحداث والشخصيات في تشكيل رؤية الرواية الكلية.

فالمكان لا يقتصر دوره على كونه وعاءً للأحداث والشخصيات، بل يصبح تعبيراً عن هوية ساكنيه، ومرآةً تعكس صراعاتهم وتطلعاتهم. بل إنه في بعض الأحيان يرتقي ليصبح الهدف الأساسي من العمل الأدبي، حيث تتحول ديناميكية التفاعل بين الإنسان والمكان إلى محورٍ تستند إليه الرؤية الفلسفية والفنية للكاتب. «فالمكان لا

يظهر إلا من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه أو تخترقه وليس لديه استقلال إزاء الشخص الذي يندرج فيه. وعلى مستوى السرد فإن المنظور الذي تتخذه الشخصية هو الذي يحدد أبعاد الفضاء الروائي ويرسم طوبوغرافيته ويجعله يحقق دلالته الخاصة وتماسكه الأيديولوجي.» (بحراوي، ١٩٩٠م، ص٣٢) وهذا ما يجعله أحد الركائز الأساسية في البناء الروائي، حيث يضفي على النص عمقاً وجدةً، ويُثريه بطبقاتٍ متعددةٍ من المعاني والدلالات التي تسهم في تعزيز قيمته الفنية والجمالية.

يُعد الدكتور أحمد خيري العمري أحد الكُتّاب البارزين في المجال الفكري والأدبي، حيث تتميز أعماله بمقاربة تجديدية تجمع بين الأصالة الإسلامية والتوجهات الحداثية. ويتسم أسلوبه بالوضوح والبساطة اللغوية، مع حفاظه على مستوى عالٍ من العمق الفكري، مما يتيح للقراء إدراك المفاهيم المعقدة وإعادة تأصيلها استناداً إلى المرجعية القرآنية. كما يتبنى العمري نهجاً نقدياً تجاه بعض الموروثات التقليدية، منطلقاً من رؤية إصلاحية تهدف إلى إعادة قراءة الفكر الإسلامي في سياق معاصر. ويبرز في كتاباته أسلوب يمزج بين الطرح الفكري والسرد الروائي، مما يضفي على نصوصه طابعًا أدبيًا متميزًا يجمع بين الإبداع الفني والتأصيل المعرفي.

أبدع أحمد خيري العمري في كتابة "قربان آل يونس" من خلال توظيف أسلوب سردي يمزج بين البعد التاريخي والطرح الفكري، مستعيناً بلغة سلسة توازن بين العمق والوضوح.

تميزت الرواية ببنية سردية متعددة المستويات، حيث مزج العمري بين السرد الذاتي لشخصية البطل "صهيب" والتحليل الداخلي العميق الذي يعكس صراعاته النفسية والاجتماعية. كما استطاع بأسلوبه أن يُعيد تشكيل التاريخ عبر سرد قصصي

مُحكم، يوظف الأماكن كشخصيات فاعلة في بناء الأحداث، ما جعل الموصل بمكانتها التاريخية والدينية تلعب دورًا جوهرياً في حبكة الرواية.

في هذا البحث، قمت بدراسة موضوع المكان، حيث استعرضت مفهومه من عدة جوانب تشمل اللغة والإصطلاح، بالإضافة إلى التطرق إلى التعريف بالكاتب وذكر ملخص الرواية مع التركيز أيضاً على أنواع الأماكن في السرد الروائي مثل المكان المفتوح والمكان المغلق. إضافة إلى استقصاء أبعاده المختلفة، لا سيما البعد التاريخي والجغرافي والنفسي الاجتماعي.

الدراسات السابقة

بالرغم من تعدد الدراسات التي تناولت عنصر المكان في الرواية، فإن رواية قربان آل يونس لم تنل حتى الآن اهتمامًا أكاديمياً متخصصاً، سواء من حيث تحليل بنية المكان أو سائر المكونات السردية، ويُعزى ذلك إلى حداثة إصدارها في عام ٢٠٢٥م. ومع ذلك، يمكن الاستناد إلى أبرز الأبحاث التي ناقشت المكان في الرواية بشكل عام فيما يلي:

١- سعدية موسى عمر البشير، (٢٠٢١م.) "أنواع المكان الروائي وبناؤه ودلالته في رواية مرسى فاطمة لحجي جابر، دراسة سيميائية"، المجلة الالكترونية الشاملة متعددة التخصصات، تلقي هذه الدراسة الضوء على عمل من الأدب المكتوب باللغة العربية من خلال دراسة أنواع المكان الروائي ودلالته وبنائه.

٢- عائشة عبدالله ناصر المزيجي، (٢٠٢٢م.) "إيديولوجيا المكان في رواية صنعاني"، مجلد (العدد ، عائشة عبد الله ناصر المزيجي جامعة الحديدة كلية التربية جمهورية اليمن الناشر مجلة ابحاث. يسعى البحث إلى معرفة تشكيل المكان إيديولوجيا بحسب ما تواجه الشخصيات في متن الرواية من مواضيع سياسية اقتصادية دينية ثقافية

تستشف خلالها سعة المكان وضيقه، بهجته وعتمته فيبدو وضع المكان عرضا لحالة الشخصية.

٣- مروان سعدي صالح، تاريخ النشر (٢٠٢٣م.) "المكان في رواية السبيليات الإسماعيل فهد دراسة جمالية تحليلية" يتناول هذا البحث الانطلاق من رؤية مفادها أن الكاتب عندما يتطرق إلى استخدام الزمان وتجلياتهما في روايته، فإنه يكشف وعيه بجوهر الصرع في الحياة كما يكشف وعيه بتفاعلات هذا الصراع.

٤- محمّدنبي الأحمدي، محمّد ياس جدعان (٢٠٢٤م.) "المكان في رواية ٣٠ نوفمبر للروائي أحمد علاء الدين"، يتقن الكاتبان استخدام المكان لتعميق الصراعات والتوترات داخل الرواية. يمكن للأمكان أن تكون رمزاً للمعاناة أوالأمل. وقد تكون محطة لتطوّر الشخصيّات أو تحوّلاتها. هذا الاستخدام الدقيق للمكان يجعل منه عنصراً أساسيّاً في بناء البنيّة السرديّة وفهم عمق الروايّة.

إلا أنه، وكما أشرنا سابقاً، لم يُكتب حتى الآن أي بحث علمي عن رواية قربان آل يونس، نظراً لأنها طبعت في ٢٠٢٥م.

التعريف بالكاتب

ولد الدكتور أحمد خيري العمري في بغداد عام١٩٧٠م، وينتمي إلى الأسرة العمرية في الموصل. تخرج من كلية طب الأسنان بجامعة بغداد عام ١٩٩٣م، وعلى الرغم من تخصصه المهني كطبيب أسنان، اتجه سريعًا إلى ميادين الكتابة والفكر الإسلامي. يُعرف العمري بأسلوبه التجديدي الذي يجمع بين تأصيل المفاهيم القرآنية والنهج الإصلاحي في معالجة القضايا الفكرية والاجتماعية، مما أكسبه مكانة بارزة بين المفكرين الشباب.

من خلال مؤلفاته التي تتراوح بين الكتب البحثية والروايات والرسائل الأدبية، تناول العمري موضوعات تتعلق بالهوية والحداثة ومواجهة الموروث التقليدي، كما عُرف بنقده اللاذع لبعض الأفكار السائدة دون مهاجمة الشخصيات الدينية. وقد نال تقديراً واسعاً لما قدمه من إسهامات فكريّة؛ ففي عام ٢٠١٠م، تم اختياره كشخصية فكرية مكرّمة من قبل دار الفكر، مما جعله أصغر من كان يحظى بهذا الشرف.

يستمر الدكتور أحمد خيري العمري في إحداث تأثير في الوسط الثقافي من خلال إنتاجه الغزير ونشاطه الإعلامي، الذي يشمل تقديم برامج تلفزيونية ومقالات نقدية تُعبر عن رؤيته في التجديد الإسلامي.

التعريف بالرواية

تدور أحداث رواية "قربان آل يونس" حول شخصية "صهيب"، المهندس الأمريكي من أصل عراقي، الذي يُكلّف بمهمة تصميم مشروع إعادة إعمار مرقد النبي يونس (عليه السلام) في مدينة الموصل، بعد أن دُمرت المنشآت التاريخية بفعل النزاعات والأعمال التخريبية. يبدأ صهيب رحلته المهنية برحلة عمل إلى الموصل، حيث يُتوقع منه تطبيق خبراته المعمارية لتصميم مشروع يليق بمكانة الموقع الديني والتاريخي، لكن سرعان ما تتحول المهمة إلى رحلة اكتشاف ذاتي وعائلي عميقة.

أثناء تواجده في الموصل، يجد صهيب نفسه في مواجهة ماضية لم يكن يتوقعها؛ إذ تبرز له لقاءات غير متوقعة مع أفراد من عائلته الذين انقطع عنه الاتصال لسنوات طويلة بسبب خلافات وصراعات قديمة. تتداخل في هذا السياق مشاعر الحنين والاغتراب، فيبدأ صهيب بالسؤال عن جذوره وهويته بين ثقافتين متعارضتين؛ الثقافة الغربية التي عاش فيها وعائلته التي تحمل في طياتها تراثاً عريقاً مرتبطاً بمدينته الأصلية وتاريخه الإسلامي.

في ظل هذه اللقاءات، تكشف الرواية عن أسرار دفينة من تاريخ العائلة، ما يدفع صهيب لإعادة النظر في مفهوم الانتماء والعلاقة بين الماضي والحاضر. فالذكريات والقصص القديمة التي يرويها الأقارب تكشف له عن حكايات من التضحية والصمود، وترسم لوحة فنية معقدة عن تاريخ الموصل وتراثها الذي يشهد على مآسي الزمن وأمجاد الماضي. يتضح أن المشروع المعماري الذي كان في بداية الرحلة مجرد ذريعة لتقديم سرد روائي يمتزج فيه الحاضر بالماضي، ويتحول المشروع إلى رمز لاستعادة الهوية وإحياء الروح الوطنية والثقافية.

يتعمق النص في استكشاف ذات الإنسان عبر تصوير صراعاته الداخلية، لتُعيد الرواية قراءة النفس وتأملها في مرآة التاريخ. وبينما يحاول صهيب بناء تصميم يليق بمرقد النبي يونس، يبدأ أيضًا في بناء جسر يربطه بجذوره العميقة، مستمداً من نصوص دينية وتقاليد تاريخية ترسخ قيم التضحية والفداء. وتبرز مدينة الموصل في الرواية كشاهد حي على تاريخ متأرجح؛ فهي ليست مجرد موقع جغرافي بل رمزٌ للهوية التي تتحدى الزمن والتقلبات السياسية والاجتماعية.

التعريف بالمكان

لغة: في الإطار اللغوي، تفيد المعاجم بأن مصطلح "المكان" يُستخدم للإشارة إلى معانٍ متقاربة ودلالات متشابهة. ومن أبرز ما ورد في هذا السياق ما ورد في "لسان العرب" في مادة (مكن) «والمكان الموضع، والجمع أمكنة كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع. قال ثعلب يبطل أن يكون مكان فعال لأن العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك واقعد مقعدك قعد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه قال: وإنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية لأن العرب شبه الحرف بالحرف.» (ابن منظور، ١٩٥٦م، ١٣/ ص٤١٤)

وجاءت كلمة "المكان" في "تاج العروس" للزبيدي: «الموضع الحاوي للشيء. وجمعه أمكنة كقذال وأقذلة وأماكن جمع الجمع، وإنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية لأن العرب تشبه الحرف بالحرف. ويستشهد الزبيدي برأي الليث المكان اشتقاقه من كان يكون ولكنه لما كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية.» (الزبيدي، ٢٠٠١م، ٣٦/ ص١٩٠)

اصطلاحاً:

ويقدم الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض تعريفاً للمكان بقوله «هو كل ما عني حيزا جغرافيا حقيقيا ما يند عن المكان المحسوس كالخطوط والابعاد والاحجام والأثقال والاشياء المجسمة ..... مثل الأشجار البحار وما يعتري هذه الظاهرة الحيزية من حركة أو تغيير.» (مرتاض، ١٩٩٥، ص٢٤٥)

أما سيزا قاسم فقدم توظيفاً لصيغة المكان من خلال كتابه "بناء الرواية" يقول: «فمرجعية الإنسان الأولى تعلقت بالمكان ليبني منظومته ، كما أن المكان هو الركيزة الأساسية التي يتعامل بها الإنسان مع الوسط الذي يعايشه، وينتمي إليه. فالمكان في نظر يوري لوتمان حقيقة معيشة تؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي، ويحمل المكان قيما تنتج من التنظيم المعماري كما ننتج من التنظيم الاجتماعي فيفرض كل مكان سلوكا خاصا على الناس الذين يلحون إليه، والطريقة التي يدرك بها المكان تضفي عليه دلالات خاصة.» (سيزا، ٢٠٠٤م، ص٨٣) وبذلك، يتحول المكان إلى نصٍّ ثقافي يُقرأ ويفرض على الإنسان أنماطاً من السلوك.

المكان المغلق

المكان المغلق في الرواية بأنه حيز مكاني ذو حدود واضحة ومحددة، يرمز إلى العزلة والانفصال عن العالم الخارجي، حيث يتم تقييد الشخصيات داخل فضاء مكاني ضيق، مما يعكس شعوراً بالنفي أو الكبت أو الحبس النفسي والجسدي.

بواسطة توظيفه في السرد، ينجح الروائي في تعميق أبعاد شخصياته وتطوير البناء الدرامي، مما يمنحه أهمية بالغة في البنية السردية للرواية. «فهي أماكن محددة بواسطة أبعاد معلومة وهي ترمز للنفي والعزلة والكبت إذن الانغلاق في مكان واحد يعبر عن الحيز وعدم القدرة على الانفصال أو التفاعل مع العالم الخارجي وهي توحي بالعزلة والخصوصية، إذ تحتضن المكان المغلق عدد محدد من البشر ونوع من العلاقات البشرية.» (عبدالله، ٢٠١٥، ص٥٧) ليصبح المكان المغلق متحفزاً لتجسيد حالات الانطواء والتفاعل المحدود، مما يُضفي على النص بعدًا متعدد الطبقات في تفسير العلاقات الإنسانية والقيود المجتمعية. ومن الأماكن المغلقة التي ورد ذكرها في الرواية:

البيت

إن البيت في هذا السياق ليس مجرد مكان مادي للإقامة، بل يتجسد كرمز يبين العلاقات الإنسانية والاجتماعية العميقة. فهو يكون البيئة التي تنمو فيها قيم الألفة والحميمية بين أفراد الأسرة أو الجماعة، فيتجلى تفاعل الشخصيات وتعايشها في فضاء مشترك يتماشى مع حركة الحياة اليومية. البيت هنا يُعدّ بمثابة الحيز الذي تنسجم فيه التجارب والمشاعر، مما يسمح بتشكيل علاقات متماسكة ومستقرة على الرغم من التغيرات الخارجية.

ومن جهة أخرى، يعكس البيت طبيعة الحياة المنظمة التي تتخللها عادات وتقاليد متوارثة، حيث يساهم في إبراز الهوية الشخصية والاجتماعية للأفراد عبر ارتباطهم بمكان يحمل ذكرياتهم وتاريخهم. هذا الارتباط بالمكان يعزز من شعور الانتماء والارتباط العاطفي، إذ يجد الإنسان في البيت ملاذاً يمنحه الأمان والراحة، ويمثل بالتالي نقطة التقاء بين الماضي والحاضر. «يشكل البيت للإنسان المكان الملائم الذي يبرز قيم الألفة، ومظاهر الحياة التي تكاد تكون متسقة في ضوء حركة الحياة، ومدى تعايش الشخصيات وتفاعلها في حيز المكان نفسه.» (مهدي، ٢٠١١، ص٣٨) فهو يوفر البيئة الملائمة للتعايش والتفاعل الذي يُثري تجربة الفرد والجماعة معاً.

ومن البيوت التي جاء ذكرها في الرواية بيت ناثر يقول: «لم أفهم الأمر، كما لا أفهم الآن ماذا تريد من هذا العميل المتعجرف. بعد اختفاء عمي ناثر، لم تقتنع داعش أنه اختفى واعتبرت أنه هرب من الموصل، وصادرت البيت الكبير كما كانت تفعل مع كل من يهرب من دولة الخلافة المشؤومة خرجت الحاجة من البيت وتدهورت صحتها كثيرًا، وبدا أنها ستودع الحياة خيل لي أنها حزنت على البيت أكثر من حزنها على عمي ناثر، أو هكذا كان واضحا للجميع، كما كان واضحًا أنها مصرة على أن أحد رجال داعش قد تخلص من عمي ناثر لكي يستولي على البيت لا أكثر.» (الرواية، ٢٠٢٥م، ص ٢٠) في ضوء هذه التحليلات، يظهر البيت في النص كفضاء مغلق يحمل معانٍ متعددة، أبرزها الاغتراب القسري، والصراع على الهوية، وتحول المأوى الآمن إلى أداة قمع ومصدر للفقدان النفسي والاجتماعي. «البيت هو واحد من أهم العوامل التي تدمج مع أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية. ومبدأ هذا الدمج وأساسه هما أحلام اليقظة. يمنح الماضي والحاضر والمستقبل البيت ديناميات مختلفة، كثيرة ما تتداخل، أو تتعارض، وفي احيانا تنشط بعضها بعضاً. في حياة الإنسان ينحي البيت

عوامل المفاجأة ويخلق استمرارية. البيت جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول.» (باشلار، ١٩٨٤م، ص٣٨) يعزز كلام باشلار فكرة أن البيت ليس مجرد مأوى مادي، بل هو فضاء سيكولوجي متحرك يشكل الإنسان بقدر ما يتشكل به، مما يجعله عنصراً أساسياً في تكوين الهوية الفردية والجماعية.

ومن البيوت التي جاء ذكرها في الرواية بيت الحاجة عدلة يقول: «أخذني يحيى من الفندق وذهبنا إلى منزل الحاجة عادلة. كان المنزل في منطقة قال عنها إنها تسمى (حي الزهور). بيت من طابقين بطراز حديث محاط بحديقة كبيرة. البيت يبدو أنه بني في الستينيات من القرن الماضي، إن لم يكن قبل ذلك؛ خطوط واضحة ومستقيمة نوافذ كبيرة مستطيلات ومربعات لا يوجد أي نقوش أو أقواس أو أي نوع من أنواع الزينة المعمارية دون أن أتعمد أي شيء حسبت عدد الأعمدة والمسافات بينها، وقارنتها بالفضاءات الموجودة. الجزء المعماري يعمل في داخلي على نحو تلقائي. رغم أن البيت وأثاثه يمثل كل ما يستفزني كمعماري، فإني شعرت بهدوء وراحة.» (الرواية، ٢٠٢٥م، ص٧٢) البيت هنا كائن سرديّ فاعل، يتداخل مع وعي صهيب، ويكشف عن مستويات خفية من العلاقة بين الإنسان والمكان: علاقة تتجاوز الذائقة الجمالية، لتحفر في طبقات الذاكرة والانتماء والحنين وربما حتى القبول الضمني بحقيقة الحياة كما هي، لا كما ينبغي أن تكون. وبالتالي «إن البيت كفضاء للسكنى يجسد قيم الألفة بإمتياز ولأن البيت مأوى الإنسان، فإنه يمثل وجوده الحميم، ويحفظ ذكرياته ويتضمن تفاصيل حياته الأشد خصوصية وحميمية؛ لأنه يمنحه شعورا بالهناءة والطمأنينة والراحة وذلك في المقابل ما يتعرض له في محيطه الخارجي من تهديد وأذى.» (بوعزة، ٢٠١٠م، ص١٠٦) لذا يمكن اعتبار هذا البيت بمثابة مرآة مزدوجة، فهو يظهر في آن واحد هوية ساكنيه وثقافتهم.

القاعة

القاعة عادة ما تكون مسرحاً رمزياً للأدوار الاجتماعية أو السياسية هذا يتجلى في المشهد يقول: «القاعة كانت متواضعة بالمقارنة بما مررت به سابقا. الحاضرون كانوا أقل عددًا من الكثير من تجاربي السابقة. الغاية من العرض كانت إعلامية بحتة، لن ينتج عنه قرار قبول أو رفض يجعلني متوترًا. حسب علمي الأمر محسوم لصالح المشروع وشركة الحوت الأزرق تبدو حوتاً ضخمًا للغاية وواثقة من اتصالاتها واتفاقاتها. ربما بسبب ذلك، كان الأمر مختلفا. مع الدقائق الأولى المعرض، زال توتري فعلا تحررت منه بالتدريج أزحت قناعي الذي عتدته على وجهي حتى التصق بمسامات جلدي.» (الرواية، ٢٠٢٥م، ص٥٠) المكان المغلق في هذا المقطع يتجاوز كونه ظرفاً مكانياً، ليغدو بمثابة مساحة نفسية رمزية تسمح بحدوث تحوّل وتدرج داخلي عميق في شخصية صهيب، وفي التدرج الزمني الذي رافق زوال القناع من التوتر إلى حالة من التحرر النفسي. «إن علاقة ذات الشخصية بالمكان بوصفه وعاء نفسياً تصب فيه الشخصية مشاعرها وأحاسيسها، ذات طبيعة تأثيرية والشعور الأكثر بروزاً هنا هو الإحساس بالاندماج والالتحام مع هذا المكان بكل محتوياته ولكن ليس بصيغة مباشرة، بل اتخذت المكان كوسيلة للتعبير عن هذا الإحساس.» (آبادي، ٢٠١١م، ص١٠٧) هذا الكلام يوضح رؤية عميقة للعلاقة الجدلية بين الإنسان والمكان، حيث يتجاوز المفهوم المادي للمكان ليكتشف بعده النفسي والرمزي.

مرقد النبي يونس

يُعد مرقد النبي يونس رمزاً للدين والتراث الروحي في الموصل، يحتل المرقد مكانة تتجاوز بعده الديني، إذ يجسد ارتباط المجتمع بتاريخه وذاكرته. تدميره أو محاولة السيطرة عليه تمثل عملية محو رمزي للهوية الثقافية.

«ذلك الأربعاء الحزين الثقيل، عندما أخبرني خالد أن داعش ستفجر مرقد النبي يونس لم أصدق. أكد لي الأمر وقال لي إنهم أخلوا المرقد ومنعوا الاقتراب من التل إلى مسافة ٥٠٠ متر، وإن الناس تجمعت لتشاهد التفجير توقعت أولا أنهم يريدون إغلاقه ومنع الناس من دخوله لأنهم يعتبرون زيارة المراقد شركا بالله. لم أتوقع قط أن ينفذوا الأمر. لا بد أن الناس تبالغ. كان من الصعب تصديق أنهم سيفجرونه فعلا. يغلقونه ممكن. لكن تفجيره؟ لماذا ؟

لم تدم حالة الإنكار طويلا، فبعد قليل سمعنا انفجاراً هائلا اهتزت له الأرض، ثم ساد صمت وسكون كما لو أن كل من في الموصل شهق وكتم شهقته، ثم انتشرت رائحة غريبة في الجو. مزيج من رائحة العطر وتراب وبارود ورطوبة. عرفت أنها انتشرت في الموصل بالتدريج بعد تفجير المرقد، كما لو كانت رائحة الأنبياء وهم يغادرون المدينة التي مكثوا فيها ألفي عام، أو كما لو أن المدينة هي التي تغادر تاريخها، أو التاريخ وهو يغادرها. أحدهم كان يغادر المدينة، لا أعرف من. (الرواية، ٢٠٢٥م، ص٤٢) في الرواية، يتحول مرقد النبي يونس، باعتباره مكاناً مغلقاً، إلى رمز للقداسة المهددة، والذاكرة المفقودة، والانتماء الممزق. تفجيره لا يمحو فقط معلماً دينياً، بل يضع المدينة بأكملها في مواجهة مع فراغ تاريخي، حيث يشعر السارد كما لو أن التاريخ نفسه يغادر الموصل، تاركاً وراءه شعوراً بالخسارة والضياع. «وإن بعض الأمكنة لها سطوتها وقوتها التي لا ترد كالأمكنة الأسطورية أو الخيالية أو الدينية

.... وغيرها. وهذه الأمكنة تخضع الإنسان لسيطرتها وعتوها وجبروتها، تعتريه نوبة من الخشوع والرهبة والخوف والادهاش» (مهدي عبيدي، ٢٠١١م، ص١٩٢) على الرغم من أن المكان قد يُشعر الإنسان بالرهبة، إلا أنه أيضاً يعزز إحساس الانتماء، وبه يصبح جزءاً من هوية الفرد والجماعة.

المكان المفتوح

المكان المفتوح بوصفه فضاءً متحرراً من الحدود والمحددات، مما يمنحه طابع الاتساع والانفتاح مقابل الأماكن المغلقة التي تفرض قيوداً على الحركة والشعور بالحرية.

«الأماكن المفتوحة هي التي تكون منفتحة عامة أو خاصة، تتجاوز كل محدد أو مقيد نحو التحرر والاتساع، وتتميز بالطلق والحرية وتقضي بالشعور بالعزلة. وتختلف هذه الأماكن وتمظهراتها حسب أحداث النص إذ تتخذ الروايات عموماً أماكن متفتحة على الطبيعة، وتؤطر بها الأحداث مكانها وتخضع هذه الأماكن الاختلاف يفرضه الزمن (شيماء محمد علي، ص٦٣١) أن الأماكن المفتوحة تخضع لتغيرات يفرضها الزمن، وهذا أمر بالغ الأهمية. في الأدب، لا يبقى المكان ثابتاً، بل يتغير مع تغير الظروف السياسية، الاجتماعية، أو العاطفية للشخصيات.

المكان المفتوح يساعد على تطور الأحداث بشكل طبيعي، لأنه يمنح الشخصيات حرية الحركة والتصرف، ويوسع من إمكانيات السرد. فالمكان المفتوح مثل الغابة أو الساحة أو المدينة يسمح بحدوث اللقاءات، المواجهات، الهروب، البحث، وغيرها من الأحداث التي تُسهم في دفع الحبكة إلى الأمام. ومن الأماكن المفتوحة التي ورد ذكرها في الرواية:

مدينة الموصل

مدينة الموصل هي إحدى أهم المدن في شمال العراق، وهي مركز محافظة نينوى. تشتهر بتاريخها العريق والموقع الاستراتيجي على ضفاف نهر دجلة. تتمتع المدينة بتراث ثقافي غني يمتد عبر آلاف السنين، إذ كانت موطناً للحضارات القديمة مثل الآشورية. تاريخ الموصل مليء بالأحداث والتحولات التي جعلت منها مدينة ذات طابع متنوع من حيث الدين والثقافة والعمران.

بعد تعرضها لعدة صراعات، بما في ذلك احتلال داعش، بدأت الموصل تعيش مرحلة إعادة الإعمار والبحث عن هوية جديدة في ظل التحولات السياسية والاجتماعية. وقد تجلى هذا المعنى في الرواية، يقول: «فتحت الملف عندما رجعت إلى غرفتي. كانت هناك شرائح تتضمن شكرًا لمجموعة من المسؤولين على رعايتهم (الكريمة) واهتمامهم بإعمار مدينة الموصل مجاملات لا مشكلة فيها بالنسبة إلي. لكن كانت هناك أربع شرائح مختلفة، مقلقة جدا. شرائح فيها مخططات المجمع سكني فاخر مطل على نهر دجلة. عشرون عمارة كل منها تتكون من عشرين طابقا، مع مركز تجاري ومركز طبي وخدمات أخرى.» (الرواية، ٢٠٢٥م، ص١٧) ثم ينتقل لنا الكاتب إلى موضوع آخر يصف فيه مدينة الموصل يقول: «ماذا عن نينوى ؟ ما الذي يعنيه الملاك عندما يقول (نينوى) لرجل من قرية صغيرة يسكنها بضع عشرات من الفلاحين، يعصرون الزيتون الذي يقطفونه من غابات الزيتون المحيطة بهم، ويبيعونه في الناصرة.

سمع يونس الكثير عن نينوى، فهي عاصمة الإمبراطورية التي تحكم نصف العالم. لكنه لم يذهب إليها قط، بل لم يذهب إليها أحد من كل قريته. بل إنه لم يقابل أحدًا زارها في حياته. فقط كبار التجار في الناصرة ذهبوا إليها، وعادوا مبهورين

يتحدثون عن عظمتها وبهائها.» (الرواية، ٢٠٢٥م، ص٤٨) يُظهر النص التباين بين الانفتاح والانعزال. فبينما نينوى تعدّ مدينة مفتوحة على العالم وتاريخها مليء بالعظمة والتأثير، فإن قرية يونس تمثل مكاناً مغلقاً من حيث العزلة الاجتماعية والجغرافية، إذ لم يزرها أحد من قريته ولم يكن أحد قد اختبر تلك العظمة التي تحدث عنها التجار العائدون. بذلك، نينوى تمثل رمزية الانفتاح على العالم، بينما القرية تمثل الانعزال والركود. «تعتبر المدينة بمثابة المكان يجمع شتات الشخصيات التي لا رابط بينهما غيره فيصبح هو صلة الدم الجغرافية التي تقوم على أساسها شبكة العلاقات، فهي بحر يحتضن مختلف الاجناس لا تربط بينهم قرابة، وإنما تجمعهم الغاية أو القدر في ذلك المكان.» (احمد الصديق، ٢٠١٦م، ص٢٨) أن الموصل، باعتبارها مدينة مفتوحة تلعب دوراً فعالاً في تشكيل شبكات اجتماعية وعلاقات معقدة بناءً على المكان الجغرافي والغاية المشتركة.

الشارع

إن الشارع يتيح اللقاء العفوي، ويشكّل مساحة يتقاطع فيها مختلف الناس، الطبقات، الأيديولوجيات. لذا يصبح الشارع مجالاً للتفاعل، لكنه أيضاً ساحة للتوتر والانقسام. لذا «يعد فضاء الشارع أحد الفضاءات المفتوحة للشخصيات الموجودة فيها، حيث يعبر القاص من خلالها عن الصور والمفاهيم التي تساعدنا على تحديد سماتها الأساسية والإمساك بمجموع القيم والدلالات المتصلة بها.» (آبادي، ٢٠١١م، ص٥١) إذ يُشكِّل الشارع رافداً أساسيّاً في تشكيل البيئة الروائية، وفيه يُحدِّد ملامح الجو العام الذي تنمو فيه الأحداث وتتبلور الشخصيات.

إذ لا يمكن إخفاء المواقف أو التصرّفات. من يمرّ في الشارع قد يُشاهد، يُسجَّل، يُراقَب، مما يضفي عليه طابعاً شبه مسرحي يكشف الوجوه الحقيقية. يقول في الرواية:

«في طفولتي المبكرة كنا نسكن في حي الزهور، لم ألاحظ وجود أي مشكلة عندما كنت ألعب مع بقية الأطفال في الشارع. لكن عندما كبرت قليلا، على عتبة المراهقة بدأت ألاحظ أن من كان يلعب معي في طفولتي أصبح يبتعد عني ويتجاهلني بالتدريج. كأطفال، كنا ننتمي إلى عالم واحد، لكن بالتدريج بدأت تنمو الأسوار بيننا. فقط تحية وسلام لا أكثر من كان صديقا، يصبح مجرد معرفة.» (الرواية، ٢٠٢٥م، ص٢٨) تحول الشارع من مكان للعب المشترك إلى مساحة للتباعد يعكس تحولًا وجوديّاً من الوحدة الجماعية في الطفولة إلى العزلة في المراهقة.

الأسوار هنا ليست مادية، بل نفسية واجتماعية، مثلها مثل الأسوار التي تُبنى بين الشخصيات في الروايات عندما يقع خلاف بينهم. لذا «يعد الشارع جزء لا يتجزأ من المدينة، أو أحد علاماتها المكانية البارزة تنفتح فيه الابواب وتتحرك فيه الشخصيات والشوارع أماكن مفتوحة تستقبل كل فئات المجتمع وتمنحهم كامل حرية التنقل وسعة الاطلاع وهي لا تقوم على تحديدات ولا حدود ثابتة، بل تمثل بالنسبة للشخصيات أماكن مرور وتوقف وانطلاق.» (احمد الصديق، ٢٠١٦م، ص٢٨) الشارع نفسه لم يتغير، لكن النظرة إليه تغيرت: من رمز للبراءة واللعب إلى ساحة للاغتراب والانقسام. هذا يثبت أن الأماكن المفتوحة لا تضمن المساواة، بل تظهر صراعات المجتمع الخفية، تماماً كما تصوّرها الأدب والروايات.

الحديقة

في الأدب الروائي، تُعتبرالحديقة كفضاء مفتوح رمزاً غنيّاً يحمل دلالات متعددة تعتمد على سياق الرواية والرؤية الفكرية للسرد وقد تجلّى هذا المعنى في الرواية من خلال الحديقة كفضاءٍ مفتوح يحمل تناقضاته الخاصة: فهي وإن بدت ملاذاً للحرية والهدوء، إلا أنها غالباً ما تُكشف عن حدود خفية سياجٌ معنويٌّ يقيد أحلام الشخصيات رغم

اتساع مساحتها. يقول: «لا أستطيع أن أنسى أني رأيت بعد شهر خال سفانة، الدكتور ناثر في فيديو انتشر على الفيسبوك وهو يجلس في حديقة منزله ويقول إن ما حدث للنصارى كان حكم الله الذي يجب أن يُطبق فيهم منذ أكثر من ألف سنة. هذه الحديقة كنت فيها أكثر من مرة في عيد ميلاد ابنته لمى التي كانت صديقتي في الابتدائية.» (الرواية، ٢٠٢٥م، ص٢١٣) حين يظهر الدكتور ناثر في ذات الحديقة، لكن وهو يُعبّر عن رأي متطرف يحمل أحكاماً إقصائية، فإن المكان ذاته يتحوّل من فضاء للبراءة والصفاء إلى فضاء للتناقض، وربما للخذلان أو الصدمة. «هنا تصبح الحديقة حلقة حركية واسعة بدل المكان الذي يحمل حيزاً واحداً يحمل في طياته أناساً لتيمين لا يحملون شيئاً من الإنسانية، أناساً تكرههم وتحقد عليهم.» (آبادي، ٢٠١١م، ص٥٤) حيث تكشف الحديقة عن شخصيات كانت مألوفة لكنها الآن تنطق بخطاب يفتقر إلى الحد الأدنى من الإنسانية، مما يعمّق فجوة الثقة ويعيد تأطير المكان كمساحة للخذلان بدل الطمأنينة.

ابعاد المكان في الرواية

يعد المكان أحد أهم المكونات المحورية في تشكيل النص الإبداعي «إذ أصبح تفاعل العناصر المكانية وتضادها يشكلان بعدا جماليا من أبعاد النص الأدبي.» (فالق سمية، ٢٠١٨م، ص٩٢) وللمكان ابعاد عديدة منها:

١. البعد التاريخي

يُعدّ المكان في الرواية من الركائز الأساسية التي تُسهم في تشكيل الرؤية السردية، لما يحمله من شحنات تاريخية ورمزية، تُثري المتن الحكائي وتمنح الأحداث عمقاً دلالياً. ويتجلى هذا البعد بوضوح في المقطع السردي التالي، الذي يستحضر مدينة نينوى بوصفها مكاناً أسطورياً وتاريخياً في آن: «سمع يونس الكثير عن نينوى، فهي عاصمة الإمبراطورية التي تحكم نصف العالم لكنه لم يذهب إليها قط، بل لم يذهب إليها أحد من كل قريته. بل إنه لم يقابل احداً زارها في حياته. فقط كبار التجار في الناصرة ذهبوا إليها، وعادوا مبهورين يتحدثون عن عظمتها وبهائها.

في تلك الليلة، وبعد أن غفا يونس مرهقاً، تسللت نينوى إلى فراشه. فتحت له أبواب أسوارها العالية. تجول في شوارعها وأسواقها. وقف مذهولاً أمام أعمدتها الشاهقة وثيرانها المجنحة، مصدوماً من النقوش على الجدران التي تروي مشاهد إذلال الأعداء بعضهم يقتادون كأسرى وآخرون يذبحون.

دخل المعبد أوثان نينوى مصفوفة، يتوسطها آشور، كبير الآلهة الذي هزم آلهة الأعداء وأخذهم أسرى وعبيداً عنده. يركب عربته الحربية ويحمل القوس والسهام في يده، بجانبه إنليل، إله السماء، بلحية كبيرة مصففة وبالصواعق في يده، قريبة منهما عشتار، إلهة الحب والخصوبة ونجمة الصباح، وكانت عارية تمامًا، يقف عريها كما لو ليتحدى الجميع.» (الرواية، ٢٠٢٥م، ص٤٨) يبرز البعد التاريخي للمكان في هذا المقطع عبر استحضار مدينة نينوى، التي تُعد من أعرق الحواضر في التاريخ الإنساني، ومركزاً حضارياً وثقافياً في بلاد الرافدين. وقد نجح السرد في استدعاء نينوى لا باعتبارها موقعاً جغرافياً محدداً، بل كذاكرة جمعية متخيلة، تتقاطع فيها المعرفة

الشعبية المتوارثة مع الخيال الجمعي المتضخم بعظمة الأسطورة والماضي الإمبراطوري.

يتناول النص المكان التاريخي عبر ملامحه المعمارية والفنية، مثل الأسوار العالية، الأعمدة الشاهقة، الثيران المجنحة، والنقوش الحربية، وهي إشارات مادية تحيل إلى الموروث الآشوري الذي ارتبط بالقوة والهيمنة. كما أن وصف مشاهد إذلال الأعداء يعكس الطابع الحربي لحضارة نينوى، والذي طالما احتُفل به في النقوش الآشورية كرمز للقوة المطلقة.

ليصبح الماضي بمظاهره المادية والفنية مصدر إلهام للأديب، حيث تتحول هذه الرموز إلى أدوات سردية تعيد تشكيل التاريخ بطريقة إبداعية. ف«لتفرد الأديب بعمله الفني يجب عليه إعادة قراءة الماضي وتاريخه فيكون هذا التداخل بين اللغوي والتاريخي، لإضافة نصيه جديدة وحقيقية.» (محمد صالح، ٢٠٠٥م، ص١٦٩)

٢- البعد الجغرافي

يظهر حضور المكان الواقعي في تجليه عبر البعد الجغرافي والاجتماعي «الذي ينقله المؤلف الضمني من عالم الواقع فيسهم في إبراز الشخصيات وتحديد كينونتها المصبوغة بصبغة المكان فينقله إلى القارئ بوصفه من الداخل.» (عبد المنعم، ٢٠٠٩م. ص١٤٢) وقد أشار إليه الروائي في المقطع التالي من الرواية «كان المنزل في منطقة قال عنها إنها تسمى (حي الزهور). بيت من طابقين بطراز حديث محاط بحديقة كبيرة. يبدو أن البيت بني في الستينيات من القرن الماضي، إن لم يكن قبل ذلك؛ خطوط واضحة ومستقيمة نوافذ كبيرة، مستطيلات ومربعات لا يوجد أي نقوش أو أقواس أو أي نوع من أنواع الزينة المعمارية دون أن أتعمد أي شيء حسب عدد

الأعمدة والمسافات تشمل، وتتكون من الأشياء الموجودة. الجزء المعماري يعمل في الداخل على نحو تلقائي. كانت غرفة الاستقبال من طراز كلاسيكي للغاية، تشبه تصميم المنزل. كراسي وكنبات ضخمة بلون أحمر غامق.» (الرواية، ٢٠٢٥م، ص٧٢) يبدأ النص بتحديد مكاني صريح، يتمثل في ذكر "حي الزهور"، وهو ما يُرسّخ المكان بوصفه موقعاً حضرياً واقعياً داخل النسيج الجغرافي للمدينة. هذا التحديد لا يكتفي بالتسمية، بل يُتبع بوصف يضعنا أمام ملامح معمارية دالة: بيت من طابقين، حديقة كبيرة، طراز حداثي يخلو من الزينة التقليدية، مما يظهر تحولاً عمرانياً في المدينة منذ الستينيات، حيث انتقلت أنماط البناء من الطابع الزخرفي إلى الحداثي الوظيفي. «خطوط واضحة ومستقيمة، نوافذ كبيرة، مستطيلات ومربعات، لا يوجد أي نقوش أو أقواس...»

هذه اللغة البصرية المعمارية تنبثق عن وعي سردي دقيق يُركّز على الخصائص الشكلية للفضاء الجغرافي، مما يُظهر أن المكان ليس عفوياً أو حيادياً، بل مُحمّل بقيم حداثية تعكس عقلية العصر الذي شُيّد فيه. فالخطوط المستقيمة، وتكرار الأشكال الهندسية (المربعات، المستطيلات) تدل على طراز معماري وظيفي، يج التحوّل الجغرافي العمراني في تخطيط المدينة خلال النصف الثاني من القرن العشرين.

٣- البعد النفسي الاجتماعي

يُعدُّ المكانُ بُعداً وجودياً يُشكّل وعيَ الفردِ والجماعةِ، فهو نظاماً دلالياً يصور التراتُبياتِ الاجتماعيَّةَ والانتماءاتِ الثقافيَّة. وفي هذا السّياق، يرى يوري لوتمان أنَّ «المكان ثقافي، أي أن الإنسان يحول معطيات الواقع المحسوس وينظمها لا عبر توظيفها المادي المعيشي وحسب بل عبر إدخالها في نظام اللغة التي تحمل الأشياء في الوقت ذاته دلالات إيجابية أو سلبية.» (يوري لوتمان، ص٦٤) إذ تُشكِّلُ هذه الدلالاتُ شكلاً

رمزياً تُعبّرُ من خلالِه الجماعاتُ عن ذاتِها، وهو ما يؤكّدُه عبودة أوريدة بقولِه: «أنه بشكل أو بآخر يعبر عن مقومات خاصة مرتبطة بالهوية والكينونة والوجود.» (عبودة اوريدة، ٢٠١٤م، ص٢٣) وتنعكسُ هذه الثنائيَّاتُ الدلاليَّةُ على المستوى الواقعيّ، حيث تُفرزُ المجتمعاتُ حدوداً نفسيَّةً تتجلَّى في الفصلِ بين "نحن" و"هم"، حتى عندما تزولُ الحدودُ الماديَّةُ. وهذا ما تُبرزُه الرواية في وصفِها للعلاقاتِ الاجتماعيَّةِ داخلَ المدينةِ: «عندما انتقلنا إلى حي المعلمين كانت الأمور أوضح: هناك بيوت تتجاهلنا وأخرى ترحب بنا وفهمت أننا ننتمي إلى عالمين مختلفين حتى لو كنا جيرانا الحائط في الحائط. لم أحاول تجاوز تلك الجدران التي تقوم مقام الأسوار من أيام الدولة العثمانية. تكبر المدينة، تزول الأسوار، تنشأ أحياء جديدة خارج خطوط طول وعرض السور الأصلي لكن الأسوار تبقى عميقة راسخة في الرؤوس تفصل بيننا وبينهم نحن وهم نحن وأنتم نتبادل الاتهامات والتوصيفات. حتى لو لم نقلها موجودة دون حاجة إلى الأبجدية المنطوقة. يتمسك كل طرف باختلافات اللهجة والمفردات والعادات وطريقة الطبخ وتناول الطعام ليثبت هويته، كما لو أن الهدف هو عناد الطرف الآخر. الطرف الآخر الذي قد يكون الجار في المدينة التي تضم في جنباتها مدينتين. قصة الموصل هي قصة مدينتين في مدينة واحدة.» (الرواية، ٢٠٢٥م، ص٢٩) في هذا المقطع الروائي، نجد أنفسنا أمام لوحة إنسانية ترسمها علاقة الإنسان بالمكان، لا كمجرّد فضاء مادي، بل ككيان حي ينبض بالصراعات النفسية والاجتماعية. تبدأ القصة مع انتقال الراوي إلى حي المعلمين، حيث يكتشف فجأة ذلك الخط الخفي الذي يقسم العالم إلى قسمين: بيوت تتجاهل وجوده، وأخرى ترحب به. هذه ليست مجرد تفاصيل عابرة، بل هي عتبة ندخل منها إلى عالم من الانقسامات الإنسانية العميقة.

ما يلفت النظر هنا هو كيف تتحول الجدران المادية إلى رموز نفسية. فحين يقول الراوي إنه لم يحاول تجاوز "تلك الجدران التي تقوم مقام الأسوار من أيام الدولة العثمانية"، فهو لا يتحدث عن حواجز حجرية، بل عن أسوار عقلية متجذرة في الوعي الجمعي. إنها أسوار من نوع خاص، لا تحتاج إلى إعلان وجودها، فهي حاضرة بقوة في تلك النظرات الخاطفة، وفي نبرات الصوت، وفي طريقة الجلوس على مائدة الطعام.

وهكذا، يصبحُ المكانُ ساحةً لصراعِ الهُويَّاتِ، حيث تُحفَزُّ المشاعرُ وتتحرَّرُ الأحاسيسُ في تفاعُلِها معَ الفضاءِ، كما يرى بن بغداد أحمد «أفضت علاقة الإنسان بالمكان إلى تحرير أحاسيس لا حدود لها.» (بن بغداد احمد، ٢٠١٦م، ص٢١٣)

النتيجة

ختاماً، تعكس رواية "قربان آل يونس" وعياً سردياً متقدماً بتوظيفها للمكان كعنصر جوهري يتجاوز كونه مجرد إطار للأحداث، ليصبح مكوناً بنيوياً يحمل دلالات رمزية ونفسية واجتماعية متشابكة. تنوعت أنماط المكان بين المغلق والمفتوح، مما أتاح للرواية أن تعبر عن حالات وجدانية وتوترات سردية متعددة، بدءاً من الفضاء الحميمي وحتى الفضاء المكشوف الذي يكشف عن صراعات وتناقضات عميقة.

إن العلاقة المعقدة التي أقامها النص بين المكان والزمن والشخصيات تعكس رؤية نقدية تتناول تقاطع الذوات مع البيئات المحيطة، مما يجعل المكان عنصراً حياً ومؤثراً في تشكيل التجربة الروائية. هذا التداخل الفاعل بين عناصر السرد يسهم في إنتاج دلالات متعددة تعكس السياقات السياسية والاجتماعية المتغلغلة في النص.

رغم غياب الدراسات ألأكاديمية حتى الآن حول الرواية، فإن حضور المكان بهذه الكثافة وبهذا التوظيف الدقيق يفتح مجالاً رحباً للبحث النقدي. عن طريق استثمار

مكاني يدمج بين الأبعاد الرمزية والواقعية، تضع "قربان آل يونس" نفسها ضمن الخطابات السردية الحديثة التي تستحق الاهتمام الأكاديمي. وبذلك، تقدم الرواية نموذجاً مميزاً لإعادة التفكير في العلاقة بين الذات والمكان داخل الأدب العربي المعاصر، عبر توظيف تقنيات سردية تُظهر إدراكاً عميقاً لأهمية البيئة في تشكيل الهوية والتجربة الإنسانية.

المصادر والمراجع

١. آبادي، محبوبة محمدي محمد ، (٢٠١١م.) جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة دمشق، بدون رقم الطبعة.

٢. الأحمدي، محمدنبي و محمّد ياس جدعان (٢٠٢٤م.) المكان في رواية ٣٠ نوفمبر للروائي أحمد علاء الدين، مجلة واسط للعلوم الإنسانيّة، عراق، رقم ١٠٣٣، صص: ١٢ إلى ٢٨.

٣. ابن منظور (ت. ٧١١هـ)، (١٩٥٦م.) لسان العرب، دار الصادر – بيروت، ط٣.

٤. احمد الصديق، (٢٠١٦م.) جماليات المكان في رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع، رسالة ماجستير بن هاشم يمينه يعيشاوي حنان كلية الآداب جامعة احمد دراية ادرار الجزائر بدون رقم الطبعة.

٥. بوعزة، محمد، (٢٠١٠م.) تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، دار الأمان ٢١، الرباط ، ط١.

٦. بن بغداد أحمد، (٢٠١٦م.) شعرية للمكان في الشعر الجاهلي المعلقات العشر، أنموذجا – إشراف صبار نور الدين شهادة دكتوراه جامعة جيلالي لباس، سيدي بلعباس، الجزائر، بدون رقم الطبعة.

٧. زبيدي، محمد مرتضى، (٢٠٠١م.) تاج العروس من جواهر القاموس، من إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، بدون رقم الطبعة.

٨. سيزا، قاسم، (٢٠٠٤م.) بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، القاهرة ، سلسلة إبداع المرأة، وزارة الثقافة والإعلام ووزارات اخرى مشاركة، بدون رقم الطبعة.

٩. شيماء محمد علي، (٢٠٢٣م.) دراسة المكان في روايات أيمن العتوم رواية انا يوسف نموذجاً، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران – ايران مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد ٧٢، جزء ١.

١٠. عبدالله التوام، (٢٠١٥م.) دلالات الفضاء الروائي في ظل معالم السيميائية (رواية الآن)، هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى لعبد الرحمن ضيف أنموذجا، أطروحة الدكتوراه علم في اللغة والأدب.

١١. عبد المنعم زكريا القاضي، أحمد إبراهيم الهواري، (٢٠٠٩م.) البنية السردية في الرواية، دراسة في ثلاثية حيري شلبي، دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهره، بدون رقم الطبعة.

١٢. عبود أوريدة، (٢٠١٤م.) المكان في القصة الجزائرية الثورية رسالة ماجستير)، كلية الآداب والعلوم الجزائر، بدون رقم الطبعة.

١٣. غاستون باشلار، (١٩٨٤م.) جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا (مقدمة) جماليات المكان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢.

١٤. فالق سمية، (٢٠١٨م.) التجربة الجمالية ودلالات المكان في رواية "الفراشات والغيلان" للروائي الجزائري عز الدين جلاوجي"، مجلة آفاق للمعلوم، الخلفة، الجزائر، المجلد الخامس، العدد ١٢.

١٥. محمد صالح خرفي، (٢٠٠٥م.) جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر أطروحة دوكتوراه جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر. بدون رقم الطبعة.

١٦. مرتاض، عبد المالك، (١٩٩٥م.) تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية مركبة، ديوان المطبوعات الجزائر، بدون رقم الطبعة.

١٧. مهدي عبيد، (٢٠١١م.) جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه منشورات الهيئة ٢٣. العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة – دمشق، بدون رقم الطبعة.

References and Sources

1. Abadi, Mahbuba Muhammadi Muhammad. (2011). *The Aesthetics of Space in the Stories of Saeed Houraniyah*. Syrian General Authority for Books, Ministry of Culture – Damascus. No edition number.
2. Al-Ahmadi, Muhammad Nabi & Muhammad Yass Jad'an. (2024). *Space in the Novel "30 November" by the Novelist Ahmad Alaa al-Din*, *Wasit Journal for Human Sciences*, Iraq, No. 1033, pp. 12–28.
3. Ibn Manzur (d. 711 AH). (1956). *Lisan al-'Arab*, Dar al-Sadir – Beirut, 3rd edition.
4. Ahmad al-Siddiq. (2016). *The Aesthetics of Space in the Novel "Camarade: Companion of Injustice and Loss"*. Master's thesis, supervised by Ben Hashim Yamina & Ya'ishawi Hanan, Faculty of Arts, University of Ahmad Draia, Adrar, Algeria. No edition number.
5. Bouazza, Muhammad. (2010). *Narrative Text Analysis: Techniques and Concepts*, Dar al-Aman 21 – Rabat, 1st edition.
6. Bin Baghdad, Ahmad. (2016). *The Poetics of Space in Pre-Islamic Poetry: The Ten Mu'allaqat as a Model*, Doctoral dissertation, supervised by Sabbār Nour al-Din, University of Djillali Liabès, Sidi Bel Abbès, Algeria. No edition number.
7. Al-Zubaidi, Muhammad Murtada. (2001). *Taj al-'Aroos min Jawahir al-Qamus*, published by the Ministry of Guidance and Information in Kuwait – National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait. No edition number.
8. Qasim, Siza. (2004). *Constructing the Novel: A Comparative Study in Naguib Mahfouz's Trilogy*, Cairo, Women's Creativity Series, Ministry of Culture and Information with other ministries. No edition number.
9. Shaima Muhammad Ali. (2023). *A Study of Space in the Novels of Ayman al-'Atum: The Novel "Ana Yusuf" as a Model*, Department of Arabic Language and Literature, University of Mazandaran – Iran, *Journal of the Islamic College University*, Issue 72, Part 1.
10. Abdullah Al-Tawwām. (2015). *The Semantic Dimensions of Narrative Space in Light of Semiotic Features: The Novel "Now,*

Here" or "East of the Mediterranean Once Again" by Abd al-Rahman Dhaif as a Model, Doctoral dissertation in Language and Literature.

11. Abdul-Mun'im Zakariyya al-Qadi & Ahmad Ibrahim al-Hawari. (2009). *Narrative Structure in the Novel: A Study in Khairy Shalabi's Trilogy*, Ain Center for Human and Social Studies, Cairo. No edition number.
12. Abboud Ourida. (2014). *Space in the Algerian Revolutionary Short Story*, Master's thesis, Faculty of Arts and Sciences – Algeria. No edition number.
13. Gaston Bachelard. (1984). *The Poetics of Space*, Translated by Ghalib Halasa (Introduction), University Institution for Studies, Publishing and Distribution – Beirut, Lebanon, 2nd edition.
14. Falak, Soumaya. (2018). *The Aesthetic Experience and the Semantics of Space in the Novel "Butterflies and Ogres" by Algerian Novelist 'Izz al-Din Jalawji*, *Afaq Journal of Information*, Khelifa – Algeria, Volume 5, Issue 12.
15. Muhammad Salih Kharfi. (2005). *The Aesthetics of Space in Contemporary Algerian Poetry*, Doctoral dissertation, University of Mentouri, Constantine – Algeria. No edition number.
16. Mortad, Abdul Malik. (1995). *Narrative Discourse Analysis: A Complex Deconstructive Approach*, Diwan al-Matbu'at al-Jaza'iriyya (Algerian Printing House). No edition number.
17. Mahdi 'Ubayd. (2011). *The Aesthetics of Space in the Trilogy of Hanna Mina*, Syrian General Authority for Books – Ministry of Culture – Damascus. No edition number.